

ثقافة الانسان والطبيعة

أ.د. مضر خليل عمر

منذ بدء الخليقة الانسان ابن الطبيعة ، ينهل منها كما يشاء ومتى يشاء دون حسيب او رقيب ، تعلم منها الكثير وتاثر بها كثيرا ، واثربها بالمقابل لدرجة عد ابنها غير البار بها نتيجة الاضرار التي سببها لها في الكثير من الاماكن والاحيان . و للتناغم الكبير بين الانسان والطبيعة اثر في تفكير الفلاسفة في الفرق بين الانسان و الكائنات الحية الاخرى في الطبيعة ، و قد خرجو برأي مفاده ان الفرق هو ان انسان (مثقّف) ، اي يفكر و يضيف للغريزة و الفطرة التي جبل عليها شيئا يميزه عن غيره من الكائنات الحية الاخرى ، ويميزه غيره من اقوام واجناس بشرية . والانسان متجذر في المكان ، ويتصارع من اجله ، لانه من نتاج التربة اصلا ، وكذلك الحضارات التي انتجها ((كانت الحضارة "متجذرة" في التربة . وبينما يمكن مقارنة الحضارات البشرية بهذه الطريقة بالكائنات الحية الطبيعية ، فإن الثقافة كانت شيئاً جعلنا في نهاية المطاف مختلفين عن النباتات والحيوانات الأخرى في العالم الطبيعي)).

ومفهوم الثقافة ، ((هو شيء داخل عقول البشر الأفراد ، ولكنه يتجاوزها . إنها مجموعة كبيرة ومعقدة للغاية من العناصر، والتي قد تشكل ، إذا ما أخذت مجتمعة ، متغيراً مهماً مثل أي متغير آخر في تفسير سلوك الأفراد أو المجتمعات أو الأنماط القابلة للرسم الخرائطي للأنشطة والأشياء التي صنعها الإنسان على وجه الأرض)). و ((أن الثقافة عبارة عن مجموعة من السلوك المكتسب الذي يتسم بالتعقيد والمتانة التي تتجاوز قدرات الحيوانات غير البشرية)). فالثقافة بمحصلتها النهائية ((هي في الواقع إنجاز بشري خالص . وهي في الواقع السمة البشرية الحاسمة ، والملكية الحصرية الوحيدة التي تميز البشرية عن جميع الكائنات الحية الأخرى . ومع ظهور السلوك الثقافي منذ مليون عام على الأقل أثناء التطور العضوي للمخلوقات الشبيهة بالإنسان ، أصبح من الممكن التعرف على البشر الحقيقيين... ومن الصعب المبالغة في تقدير القوة التي تمارسها أي منظومة ثقافية على عقول المشاركين فيها .))

التساؤل الذي اطرحه هنا عن موقع النباتات في حياتنا اليومية ؟ ثقافتنا الاجتماعية و موقع النباتات فيها ؟ بعيدا عن سياسة الحكومة في قطع الاشجار و تجريف البساتين ورفع الجزر وسط الشوارع ، والسماح بتحويل الحدائق المنزلية الى شقق و مشتملات ، واستغلال الحدائق العامة و الاماكن المفتوحة في استثمارات لغسيل الاموال . وبعيدا عن علاقة ما يجري بالاحتباس الحراري و تفاقم اثار ذلك على حياتنا اليومية و كلفها المادية والاجتماعية . وبعيدا عن السلوكيات الاعلامية للبعض لزراعة شجيرات في اماكن عامة دون توفير ادامة لها . وبعيدا ايضا عن التوجه العالمي لاستدامة البيئة الحضرية و الزراعة الحضرية والاقتصاد الاخضر و غيرها من سياسات اثبتت نجاحها في بعض الدول . اين نحن من كل هذا ؟

انقل نصا من مصدر اجنبي عن الشرفات (البالكونات) ، حيث عبر عنها احد الكتاب بالاتي : ((كانت هذه الامتدادات المفتوحة للمنزل - والتي كانت بمثابة "منزل مفتوح" دائم - المسارح التي شهدت - خلال فصول السنة الأكثر دفئاً - الكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية للأسرة .)) . واذكر ، ان نفعت الذكرى ، بالشناشيل التي اتسمت بيها البيوتات العراقية من البصرة حتى شمال الوطن ، والبغدادية على وجه الخصوص . فالكثير من المنازل التي بنيت حديثا ، و الشقق السكنية ، و المشتملات ، تحتوي شرفات غير مستغلة ، مجرد جريا وراء تقليد الاخرين في مظاهرهم الكاذبة . بذخ غير مبرر و فسحة مكانية غير مستغلة ، وان استغلت فللخزن المكشوف .

من خلال الانترنت اطلعنا على نماذج كثير للشرفات و طرائق استغلالها لتحسين بيئة المنزل واطفاء طابعا حضاريا عليه . فقد استغل البعض الشرفات و سطوح المنازل لتوفير الغذاء اليومي الطازج للعائلة . وفي بلدان مثل ايطاليا و دول البحر الابيض المتوسط و دولامريكا الوسطى والجنوبية تمثل الشرفات مجالا لتعاون الجيران و تبادلهم المطبوعات و الاحاديث الاجتماعية ، وحتى الشخصية . وعند اغنياء الولايات المتحدة تمثل الشرفات مكانا للاسترخاء و التمتع بالطبيعة بعيدا عن ضجيج المدن و تدخل الطفيليين .

ما اكتبه الان بقصد تحريك الجو الثقافي و البيئي في مجتمعنا ، لمن يحفره ما اكتب وما انشر عن تنظيم البعض للشرفات و استغلالها للترويح عن العائلة . و اقترح على المعنيين بالمجمعات السكنية ، الزام الساكنين بتزيين الشرفات بالنباتات (الظلية ، المتسلقة ، دائمة الخضرة ، وغيرها) لاضفاء لمحات جمالية على السكن اضافة الى الحدائق والفسحات الخضراء التي توفرها الشركات المستثمرة .































baldassarri_adriana













